أخرج هالكو يديه من تحت الملاءة ، ربت بها ظهر جابرا وقال :

ـ من الغد ٠٠ لا تأت معى ، والا فسوف تموت من البرد من أين تأتى الرياح الغربية بكل هذا الصقيع ؟ الله وحده يعلم ، دعنى أنهض وأدخن مرة أخرى ، لقد أوشك الليل أن ينتهى ، دخنت حتى الآن ثمانى مرات ، هذه مكافأتى من الزراعة ، هناك آخرون محظوظون ٠٠٠ الشتاء يفر من مساكنهم خوفا من الدفء الذى يسببه حرارة الصيف ، لديهم أغطية ثقيلة ووسائد ، وسجاجيد فاخرة وبطاطين ، ليس للشتاء سلطان عليهم ، أية أدوار غريبة هذه التى يلعبها القدر ؟ حظنا يا جابرا أن نعمل ٠٠ وحظهم أن يستمتعوا ، ونهض هالكو ، نبش فى حفرة النار حتى عثر على جمرة صغيرة جهز بها غليونه الفخارى ، ونهض جابرا أيضا ، جذب هالكو نفسا من الدخان وقال :

ـ هل تدخن ؟ التدخين لا يحمى من البرد لكنه يقتل الوقت ٠

نظر اليه جابرا بعينين مليئتين بالحب ، قال هالكو :

ـ عليك أن تصبر الليلة على البرد ، غدا سأفرش لك فرشة من القش ، يمكنك أن تخبىء نفسك فيها من البرد ٠

رفع جابرا كفيه الأماميتين ووضعهما فوق مرفقى هالكو ، ثم قرب فكه الى وجهه ، شعر هالكو بدفء أنفاس جابرا ، انتهى من التدخين وعاد الى الرقاد لعله ينام ، بعد لحظات قليلة أحس بقلبه يرتجف ، تقلب على جنبيه لكن البرد كان يدق قلبه كشيطان ، وعندما لم يعد قادرا على احتمال البرد جذب اليه جابرا ببطء ٠٠ وأخذ رأسه فى حضنه ، انبعثت من الكلب رائحة كريهة لكنه وجد فى عناق الكلب شيئا من الراحة ٠ راحة لم يحس بها منذ شهور عديدة ، وربما أحس جابرا أن حضن هالكو هو الجنة ، ولم تشمئز روح هالكو النقية من رائحة الكلب ، بل انه يعانقه بنفس الشعور الذى عانق به من قبل أخا أو صديقا ، لم يحس بازدياد آلام الفقر الذى أوصله الى هذه الحال ٠٠ بل ان هذه الصداقة الغريبة بينه وبين كلبه تهون عليه الآن كثيرا من المعاناة ٠

وفجأة ، سمع جابرا صوت حيوان ما ، سحب رأسه من صدر هالكو وهب واقفا ، خرج من الكوخ يجرى وينبح ، نادى عليه هالكو وأعاد النداء ، لكن جابرا لم يعد ، راح يشق الحقل دون أن يتوقف عن النباح ، مرات عديدة كان يتوقف لحظة ثم يهم بالعودة ٠٠ لكنه سرعان ما يعاود الجرى والنباح ٠